

فترة جمام

نفض الرافي يديه من المعركة بينه وبين العقاد ، ثم فاء إلى نفسه ، وعاد إلى دار كتبه يطالع ويقرأ ويتزوّد ... واختفى اسمه من الصحف والمجلات أشهراً ، كان في أثنائها يتهياً لإتمام كتابه « أسرار الإعجاز » ، ويعمل في الوقت نفسه على جمع ما نشر من المقالات في الفترة السابقة وترتيبها ، ليخرجها كتاباً يسميه « قول معروف ... »

على أن عنايته بشأن هذين الكتابين : أسرار الإعجاز ، وقول معروف — لم يمنعه أن يكون له في كل يوم ساعات محدودة للقراءة والاطلاع . وكانت هذه الساعات المحدودة في أكثر لياليه تمتد من المغرب إلى منتصف الليل . وأستطيع أن أقول : إن هذه الفترة على ما كان يبذل فيها من جهد ، كانت فترة جمام وراحة لم ينعم بمثلها فيما بقي من حياته . وكنت بصحبته يومئذٍ قريب العهد ، ولكنني كنت ألصق أصحابه به ؛ فكان لي معه كل يوم ساعات : يقرأ لي وأستمع إليه في داره ، أو أماشيته في الخلاء ، أو أجالسه في القهوة ، أو أصحبه إلى السيماء . وكان على في هذه الفترة وفيما بعدها من الزمن ، أن أقرأ ما يهدى إليه من الكتب ، لأشير له إلى المواضع التي يجدي عليه أن يقرأها ، ضناً بوقته على قراءة ما لا يفيد . وكثيراً ما كان يدفع إليّ بعض ما يرد إليه من الرسائل ، لأرى رأيي فيه وأشير عليه بالجواب ، أو أتولى ذلك بنفسى . وكانت هذه الفترة ذات أثر كبير في تكويني وتوجيهي في الأدب توجيهاً لم أكن أقصد إليه ؛ كما تأثر هو بصحبتى في هذه الفترة تأثراً ووجهه في أدب الإنشاء توجيهاً لم يكن يُعرف به منذ نشأ في الأدب قبل ذلك بثلاثين سنة ؛ فبدأ أسلوبه أكثر استواء عند عامة القراء ، وكان قبلها

يَتَّهَمُ بالغموض والتعقيد ؛ كما عالج القصة فنجح فيها إلى حد بعيد ، إذ كانت القصة — وما تزال — أحبَّ ألوان الأدب إلىّ ، على حين كان الرافعي لا يؤمن بفائدة القصة ولا يعترف بخطورها بين أبواب الأدب الحديث . فما هو إلا أن حملته على محاولتها فأنشأ قصته الأولى ؛ ثم كأنما اكتشف نفسه من بعدُ فصار ما ينشئ من القصص هو أحبَّ منشأته إليه ، وخطابها إلى نفوس القراء خطوات ...

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب أنني كنت أنشئ القصص لمجلة الرسالة ، لا أكاد أعني بشيء غيرها من موضوعات الأدب ، وكانُ حُسن وقَمَمها عند القراء يدفعني إلى الإجادة والاستمرار ؛ ولكن قارئاً واحداً كان يعيب عليّ ما أكتب ، ولا يرضى مني أن تكون القصة هي كل ما أعالج من فنون الأدب ، ذلك هو الرافعي . وكثيراً ما كان يقول لي : « يا بني ، إن لك بياناً وفكراً ومعرفة ، فلماذا لا تحاول أن تكون أدبياً ؟ إنه لا يليق بك أن تكون القصص هي كل ما تحاوله من ضروب الإنشاء ، وإن فيك استعداداً لا أكثر من ذاك ... ! » وما زال يلحّ عليّ ويكرر هذه الملامة ، حتى وقع في نفسي أنني أسىء إلى نفسي بمحاولتي أن أكون قصصياً ؛ فانصرفت عن القصة وكانت أحبَّ إليّ ، إلى فنون أخرى من الأدب ، إلا ما أنشئ من « القصص المدرسية » التي أولفها لتلاميذي على أنها وسيلة من وسائل التربية لا باب من الأدب . ثم لم يمض بعد ذلك إلا قليل ، حتى كانت القصة هي أكثر ما يعالج الرافعي من أدب الإنشاء ، وكان له فيها فَوَاقٍ وسَبْقٌ ، وحلّت القصة محلها من تقديره بين أبواب الأدب ... !

وإذ كان في أذني الرافعي ذلك الورق الذي يقطعه عن دنيا الناس ، فإن أسلوبه في الكتابة كان بعيداً عن فهم الكثير من ناشئة القراء . فلما اصطفاني بالودّ ، أخذت على نفسي أن أكون أذنه التي يسمع بها ما يقال عنه وما يرى القراء في أسلوبه ، فكنت إذا جلست إليه ليملي عليّ ، أحاوره فيما يدق على الأفهام من أسلوبه ، وما تنبؤ عنه أسماع القراء . ثم لا أزال به حتى يغير العبارة فيجعلها

أدنى إلى الفهم وأخف على السمع . وكان ينكر ذلك على أول أمره ، بما فيه من اعتداد بنفسه وكبرياء ، وكان أحياناً يوشك أن يغضب ، وأنا أتلطف له وأحتال عليه ؛ ثم لم يلبث أن رضى ذلك منى ، فكان يملئ على العبارة من المقال ، ثم يسألنى : « ماذا فهمت مما كتبت ؟ » فإذا كان ما فهمت يطابق ما فى نفسه ، مضى فى إملائه ؛ وإلا عاد إلى ما أملاه بالتغيير والتبديل حتى يتضح المعنى ، ويبين المراد . وبلغ فى النهاية أن يسمينى — على المزاح — : العقل المتوسط من القراء .. !

لم يُنشر للرافى فى هذه الفترة شئ ذو بال ، إلا أحاديث كان يملئها على بعض المرتقة من كتّاب الصحف الأسبوعية . وكان له بطانة من هؤلاء الكتاب يعطف عليهم ويعينهم على العيش ، فكانوا يفدون إليه فى المحكمة ليسأله حديثاً فيملئ عليهم جوابه ، ثم يذهبون لينشروه حيث يشاءون ويقبضوا أجره فى هذه الفترة ، وكلّ إليه الأديب حسام الدين القدسى الورّاق تصحيح كتاب « ديوان المعانى » لأبى هلال العسكري ، وكان قد وقع منه على نسخة خطية فطبعها بأغلاطها وتصحيحها ، ثم بدا له قبل أن يتم طبع الديوان أن يلجأ إلى الرافى ليصحح له أغلاطه ويتم نقصه ، على أن ينشره فى الجزء الأخير من الكتاب . وقبل الرافى هذا التكليف على قلة أجره ، ليقراء الكتاب قبل أن يقرأه الناس ، وليستمتع بلذة المعاناة فى تصحيحه وتصويب خطئه ؛ وإنها لرياضة عقلية ممتعة ، لا يستشعرها ولا يقوى عليها إلا القليل من الأدباء . ومضى فى هذا العمل شهراً أو يزيد ، وكنت معه فيه ، ثم انتكشت المعاهدة التى كانت بينه وبين القدسى ، فترك له كتابه بعد أن أصلح منه جزءاً غير قليل . وقد استطعت فى تلك الفترة التى صحبت فيها الرافى وهو يحاول تصحيح الكتاب ، أن أعرف مقدار اطلاعه وسعة علمه وقوة بصره بأساليب العربية ؛ وقد رأيت منه فى هذا الباب أشياء عجبية ؛ من قوة المحافظة ، وسرعة الاهتداء إلى مراجع البحث ، ومهارة الاستدلال على مواضع النقص ، حتى لكأننى بإزاء مكتبة دقيقة الترتيب منظمة التبويب ما شئت من

بحث هدتك إليه قبل أن تبحث عنه . على أنه كان أحياناً يعرف موضع النقص من الكتاب ثم لا يهديه البحث إلى تتمته ، فيضع فكره موضع فكر المؤلف ليستقيم المعنى ويتساق الكلام ، وأكثر ما كان يقع ذلك في الشعر المشطور . وقد حدث مرة أن ظل الرافعي يبحث يوماً كاملاً عن تمام بيت من الشعر في مظانه من كتب العربية ؛ فلما أعياه البحث جعل تمامه من نظمه ، ثم مضى إلى تصحيح ما بعده من الكتاب . وفجأة ترك ما هو فيه وقال : « اسمع ! ناولني الكتاب الفلاني » فددت يدي إلى موضعه من المكتبة فناولته إياه ، فأخذ يتصفحه قليلاً ثم قال : « لقد وجدته ... هذا هو البيت الذي كنت أبحث عنه وتمامه . عد إلى ما كتبت من قبل لتصحيحه ! » وعدت إلى ما كتبت ، ورجعت النظر في الكتاب الذي بين يدي ؛ فإذا تمام البيت فيما كتبت وفي الكتاب سواء ، لا يختلفان إلا في حرف الجر ... أكان فضل هذا إلى ذاكرة الرافعي ، أم إلى قوة بصره بالشعر وبأساليب البيان ... ؟

ولم يكتب الرافعي في هذه الفترة إلا بضع مقالات ؛ وكان لكل مقال حافزه وداعيه :

١ — كان السيد حسن القاياتي يكتب في جريدة « كوكب الشرق » كلمات في موضوعات شتى من وحي الساعة وخواطر الحياة . فبداله يوماً أن يكتب في الموازنة بين قول الله تعالى : « ولكم في القصاص حياة ... » وقول العرب : « القتل أنفى للقتل ! » فانزلق إلى رأي ... وكان محرر الكوكب في ذلك الوقت هو الدكتور طه حسين ، وهو من هو عند الرافعي في دينه وفي أدبه وفي إيمانه . بقدر القرآن ... ولم يكن الرافعي يواظب يومئذ على قراءة كوكب الشرق .

وجاء البريد ذات صباح إلى الرافعي برسالة من صديقه الأستاذ محمود محمد شاكر يلفت نظره إلى ما كتب الأستاذ القاياتي وإلى ضلاله في تفضيل الكلمة الجاهلية على آية القرآن ؛ ودفع إلى الرافعي رسالة شاكر وهو يقول : « أتصدق

هذا؟ أيجرو أحد أن يقولها ، أم هي مبالغة وتهويل من محمود ، أم هو لم يفهم ما كتب الكاتب المسلم وحمل كلامه على غير ما يريد ؟ »

ثم بعث في طلب الجريدة التي نشرت هذه الضلالة فجىء بها . فما كاد يقرأها حتى اربد وجهه وبدا عليه الغيظ والانفعال ، ودار لسانه بين شذقيه بكلام ، ثم لم يلبث أن نهض مغضباً إلى الدار قبل مواعده ، فانقطع عني يومين ثم أرسل يستدعيني إليه ، فأملى عليّ مقالة طويلة بعنوان : « كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة ! » وكانت مقالة من عيون مقالات الرافى ، نشرتها البلاغ في صفحتها الأدبية ؛ وقد أورد فيها بضعة عشر رأياً في بيان إعجاز الآية ومبلغها من البلاغة بإزاء الكلمة الجاهلية ، وقد جعلها من بعدُ فصلاً من شواهد كتابه « أسرار الإعجاز » الذى لم يطبع بعد ... (١)

وقرأ الأستاذ القاياتى مقال الرافى في الرد عليه ، وأحسبه قد اقتنع بما قرأ واعترف على نفسه في خلوته ، ولكنه لاذ بالصمت ، وكانت كرامته الأدبية أعز عليه من كرامة القرآن ، فلا هو ردّ عليه ولا هو اعترف علانية بما كان من خطئه فيما انزلق إليه .. !

وفتح مقال الرافى أبواباً من القول لطائفة من الأدباء ؛ إذ كان فيما ردّ به الرافى أن كلمة « القتل أنقى للقتل » ليست جاهلية كما يعرف أكثر قراء العربية ، ولكنها نشأت في العصر العباسى لمثل ما استعملها له الأستاذ القاياتى في معارضة القرآن ، وأسندها مخترعها إلى حكيم الجاهلية أكرم بن صيفى ليمّ له قصده ؛ وجازت دعواه على كثير من قراء العربية حتى كشف الرافى عن زيفها بعد ألف سنة !

كان تاريخ هذه الكلمة ميداناً للقول والمعارضة أياما بين الرافى وبعض الأدباء ؛ وكان أول من عرّض لمناقشة رأى الرافى هو أخونا الأستاذ عبد العزيز الأزهرى ؛ ولكنه لم يلبث أن شعر بالإعياء من أول شوط ؛ فكتب إلى الرافى

(١) نحسن الظن كثيراً إذا زعمنا أن هذا الكتاب الفريد في موضوعه وفي تأليفه ، سبى من عناية أدباء العربية ما يحملهم على محاولة طبعه في يوم قريب ... !

رسالة خاصة في البريد يستعفيه ويعتذر إليه بأنه مشغول البال بالاستعداد للزواج...! ثم تداول الرأيَ غيرُه ، فكتب الأستاذ الكبير « أزهرى المنصورة^(١) » يرى في تاريخ الكلمة رأياً غير ما يرى الرافى ؛ وكتب شيخ أدباء العروبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ؛ وطال الشدّ والجذب حول تاريخ هذه الكلمة فترة من الزمان^(٢) .

٢- وفي هذه الفترة تم إنشاء « المجمع اللغوى » وكان الرافى يعنى نفسه بأن يكون من أعضائه ، فحال بينه وبين ما يتمنى أنه لا يسمع ؛ وإن لم يمنعه ذلك أن يكون عضواً في المجمع العلمى العربى بدمشق ، وقد اختير له هو والمرحوم حافظ بك إبراهيم قبل ذلك بسنوات ، فلم يشهد جلسة من جلساته ، ولم يشترك فى قرار قرره ، ولم يبعث إليه برسالة واحدة فى موضوع من موضوعات العلم العربى ...

وساء رأى الرافى فى المجمع اللغوى من يوم إنشائه ، ولم يمنعه من الحملة عليه أنه كان موعوداً بأن يُختار فيه عضواً مراسلاً كما أنباء صديقه فارس نمر باشا عضو المجمع

وافتح المجمع ، وكان أول محرراته الأدبية برقية بالشكر إلى المرحوم الملك فؤاد ولقيت الرافى ذات مساء ؛ فإذا هو يرفع إلى جريدة البلاغ قائلاً : « اقرأ ؛ هذا أديب صغير يهاجم المجمع اللغوى فى يوم إنشائه ، ويزعم أنه لم يستطع أن يكتب برقية بريئة من الخطأ يشكر بها منشئه ... ! »

وقرأت ، فإذا نقد عنيف ، وتهكم مر ، وسخرية لازعة ... كانت كلمة صغيرة ولكنها ذات شأن ، وقد اختار كاتبها أن يكون توقيعها (أديب صغير) مبالغة

(١) صبح عندنا أخيراً أن الأديب الكبير (أزهرى المنصورة) هو أستاذنا وصاحب الأيادى علينا الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي نفسه ؛ فمن شاء برهاناً على ذلك فليقرأ الصفحات الأولى من كتابه القيم (الاسلام الصحيح)

(٢) انظر قصة الكلمة المترجمة : فى الجزء الثانى ، السنة السادسة من مجموعة مجلة الرسالة

في السخرية والتهكم . وأخذ الكاتب على المجمع بضع غلطات لا يتنبه لثلها إلا أديب .
دارس له في العربية مكان .

وقال الرافعي : « ماذا رأيت ؟ » قلت : « نقد مر لا يبلغ به هذا المبلغ على
إيجازه إلا أديب كبير ! » قال : « فن تظنه ؟ » وكان سؤاله مشعراً بجوابه ،
ولكنني كذبت نفسي ... أياكون هو ؟ وما يحمله على أن يخفى عني ؟ لقد كان معي
أمس ، وأمس الأول ، فلم يحدثني بشيء في ذلك ؟

وقلت للرافعي : « أو تعرف كاتبه ؟ » قال : « حاول أن تفكر ... لقد حاولت .
فلم أوفق » وكان حسبي هذه الكلمة ليزول كل شك في نفسي ، فما كذب على
الرافعي قبلها قط ... ! ولم أعرف إلا بعد أيام أنه هو ...

ورد المرحوم الأستاذ حسين والى عضو المجمع ، وعاد الرافعي يرد ويتهكم ويسخر ،
ويتحدث المجمع اللغوي كله أن يرشده إلى الأطوار الاجتماعية التي مرّت بها كلمة
(حظي) حتى ساغ للمجمع من بعد أن يستعملها بمعنى (ظفر) في برقية الشكر
إلى جلالة الملك ... وسكت المجمع ، وسكت الأستاذ حسين والى ، وظل الرافعي .
(الأديب الصغير) يكتب حتى جاءه الرجاء أن يسكت فسكت !

مقالات (الأديب الصغير) في نقد المجمع اللغوي : هي آخر ما كتب الرافعي
في النقد على أسلوبه وطريقته^(١)

٣- — ومما كتبه الرافعي في تلك الفترة بحث طويل في البلاغة النبوية أنشاء إجابة
لدعوة جمعية الهداية الإسلامية بالعراق ، لتشره في ذكرى المولد النبوي . وقد لقي
من العناء في إنشاء هذا الفصل مالا أحسب غيره يقوى عليه . وحسبك أن تعلم

(١) كان ممن نالهم رشاش هذه المعركة الصغيرة ، شيخنا العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي
عضو المجمع ، سلكه الرافعي فيمن سلك على غير قصد ولا نية ؛ لأنه اتفق له رأى في بعض
ما يجب على المجمع نشره في البلاغ إبان هذه المعركة ، فظن الرافعي أنه يعني بهذا المقال أن يرد
عليه ، فكان للرد على الأستاذ المغربي نصيب من مقال الرافعي . تقرأ قصة (حظي بالقيء) في تفصيل .
أطوار هذه المعركة ، في الجزء الثاني ، السنة السادسة من مجلة الرسالة ، لأستاذ جليل .

أن الرافعي لم يتهياً لكتابة هذا الفصل حتى قرأ صحيح البخاري كله قراءة دارس، وأنفق في ذلك بضعة عشر يوماً ، وهو وقت قليل لا يتسع للقارئ العجل أن يقرأ فيه صحيح البخاري قراءة تلاوة؛ فكيف به دارساً متمهلاً يقرأ ليتذوق بلاغة الأسلوب ودقة المعنى؟ ولكن ذلك ليس عجيباً من الرافعي الذي كان يقرأ كل يوم ثمان ساعات متوالية لا يمل ، فلا ينهض عن كرسيه حتى يوجعه قلبه !

وكتب الفصل بعد ذلك في ثلاثة أيام ، ثم دفعه إلى لا كتبه بخطى ولم يمله على ، فأنفقت في كتابته ثلاثة أيام أخرى .

هذا الفصل يملأ نحو أربعين صفحة من مثل هذا الكتاب، ويصلح أن يكون خاتمة لكتاب إعجاز القرآن — لو قدر لإعجاز القرآن أن يطبع طبعة جديدة — فإنه أشبه بموضوعه وفيه تمامه .

٤ — وما فرغ الرافعي من كتابة هذا الفصل ، حتى أحس بحاجته إلى الراحة بعد ما بذل من جهد ، فأغلق دار كتبه وخرج إلى الشارع يشم الهواء . ثم لم يكده يأتي المساء حتى جاءه البريد برسالة من جمعية الكشف المسلم بالشام ، تطلب إليه أن يعد لها موضوعاً تنشره في صحيفتها لمناسبة المولد النبوي كذلك ... !

وضاقت أخلاق الرافعي ، فهم أن يلقي الرسالة ليفرغ لنفسه بضعة أيام للاستجمام ، ثم تخرج ، فعادت إليه ابتسامته وهو يقول : « سأفعلها قُرْبِي إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو رمى بي هذا الجهد المتواصل إلى تهلكة ! » وعاد إلى مكتبته وهو متعب مكدود ... ثم أمله على مقالة « حقيقة المسلم » الذي أعاد نشره في الرسالة بعد ذلك وجمعه إلى وحى القلم

وله في هذه الفترة بضع مقالات أخرى نشرها في مجلة المقتطف . ثم دعت الرسالة ليكتب فصلاً عن الهجرة في العدد الممتاز الأول لسنة ١٣٥٣ هـ ، فكان ذلك أول عهده بالكتابة فيها ، ثم اتصل بها جيله .

٥ — بعد ما أنشأ الرافعي مقالة « وحى الهجرة في نفسي » ، أهدى إليه الشاعر

المهندس على محمود طه ديوانه « الملاح الثأث » ، وأحسبه طلب إليه أن يكتب عنه . وكان بين الرافى والشاعر المهندس صلة قديمة من الود ، أظنها نشأت فى حجرة الأستاذ صروف محرر المقتطف ، حيث كان الرافى يقضى أكثر أوقات فراغه كلما هبط إلى القاهرة لعمل من أعماله . وهناك يلتقى الرافى ، وصروف ، وإسماعيل مظهر ، ومحمود شاكر ، والمعلوف ، وغيرهم من أدباء العربية ، فيجتهدم الجدل ساعات فى موضوعات شتى من الأدب . ولم يكن للرافى ندوة أدبية يقصد إليها كلما جاء القاهرة منذ هجر فلانة — أحب إليه من دار المقتطف ، ثم صار له ندوة ثانية من بعد حين اتصل سببه بالرسالة ؛ فكان يقضى وقته بين عيادة الدكتور شخاشيرى فى فم الخليج ، وعبد القادر حمزة والمازنى فى البلاغ ، وإخوان صروف فى المقتطف ، والزيات فى دار الرسالة . ولم يلتق إلا مرة أو مرتين بالأستاذ أحمد أمين والدكتور عزام فى « لجنة التأليف والترجمة والنشر » ، عند ما كانت اللجنة قائمة على طبع كتابه « وحي القلم » .

قلت : إنه كانت بين الرافى والشاعر على محمود طه صلة من الود . ومنها أن الشاعر المهندس وضع له رسماً (تصميماً) للبيت الذى كان فى نيته أن يبنيه لينتقل إليه وينقل دار كتبه قبل أن يموت . ولهذا البيت قصة لم تتم ، لأن هذا البيت لم يتم ... فقد كان كل ما ادخره الرافى من جهاده بضعاً وثلاثين سنة ، بضع مئات من الجنيهات ، اشترى بنصفها قراريط لينشئ فيها حديقة وبيتاً يسكنه — إذ كان وما زال إلى أن مات يسكن بيت أبيه — وبقي معه بعد ذلك قدر من المال لا يكفى نفقات البناء والإنشاء ، فأثر أن ينتظر حتى يجتمع إليه شيء ، وأسلف صهره ما بقى عنده من المال إلى أجل ، وفى النفس أمل ... ثم جاءت الأزمة فأكلت ثروة صهره جميعاً لم تبق منها على شيء ، وضاعت ذخيرة الرافى فيما ضاع ولم يستطع المدين وفاء الدين ، فلم يبق للرافى من جهاده وما ادخر إلا الأرض الخربة ، والأمل فى عطف الله ، وخطوط تبين حدود البيت وحجراته وأبهاء وحديقته ، مرسومة على ورقة زرقاء ... !

... وجاء ديوان الشاعر على محمود طه ، وديوان الماحي ؛ فدفعهما إلى لأختار له ما يقرأ من كليهما . ولم أكن أعرف يومئذ ما بينه وبين الشاعر المهندس ، ولكن رأيت في ديوانه وافق هواه ؛ فافترغت من قراءته حتى دفعته إليه وعلى هامشه إشارات بالقلم ، وما دفعته إليه حتى تهياً للكتابة عنه ...

وأنشأ مقالة مسببة نشرها في المقطم ، تحدث فيها عن الشعر حديثاً يبين مذهبه وطريقته في فهم الشعر وفي إنشائه ؛ ثم انتنى إلى الشاعر المهندس يمدح ويثنى ، وينتقد وينصح ... وكان مؤمناً بما كتب ، ولكن إيماءات من الواعية الباطنة^(١) كانت تملي عليه بعض الحديث في التعريض ببعض الشعراء المعاصرين ...

وتناول الأستاذ المازني ديوان « الملاح التائه » في البلاغ بعد ما تناوله الرافعي ، فغاب عليه أشياء كان الرافعي يمتدحها ، وأخذ على الشاعر أنه كثير العناية باللفظ والعبارة والأسلوب ؛ فكانت مقالة الأستاذ المازني حافزة للرافعي على أن ينشئ مقالة للرسالة في الرد عليه ، جعل عنوانها « الصحافة لا تبجى على الأدب ولكن على فنيته » ؛ فهذه المقالة كان الرافعي يقصد الأستاذ المازني ، دفاعاً عن صديقه الشاعر ، أو دفاعاً عن مذهبه في الشعر . وكانت هذه أولى مقالات الرافعي في الرسالة بعد فترة من مقالة « وحي الهجرة » وقد أنشأها على نهجه القديم ، وحاول فيها فناً من التهمك في قصة اختراعها عن الأصمعي الراوية في عهد الرشيد

كان الرافعي مفتوناً بمقالاته الثلاث التي أنشأها في هذه الفترة : البلاغة النبوية وحقيقة الإسلام ، ووحى الهجرة . وكان حسن وقعها عند كثير من القراء ، حافزاً له على الاستمرار في هذا الباب من الأدب الديني ، فعقد النية على أن يكتب السيرة النبوية كلها على هذا النسق الفلسفي ، ليجعلها كتاباً بعنوانه ، يتناول سيرة النبي العظيم — صلى الله عليه وسلم — على طريقة من التحليل والفلسفة ، لا على نسق

(١) الواعية الباطنة : هو تعبير الرافعي عما يسمونه في علم النفس بالعقل الباطن .

من الرواية . فأنشأ بعد ذلك مقالاته : « سموّ الفقر » ، و « الإنسانية العليا »
ثم بان له من بعد أن هذا الفن من الإنشاء عسر الهضم عند كثير من القراء ؛
فتركه إلى موضوعات أخرى يعالج بها بعض مشا كل الاجتماع في الحياة المصرية ،
على أن يكتب ما يتيسر له من المقالات النبوية نجوماً في فترات متباعدة حتى لا يمل
قراءه أو يثقل عليهم ، وسأتحدث من بعد عن كل مقال من المقالات التي أنشأها
للمرسالة في الفترة التي صحبته فيها ، لعل ذلك يعين على فهم أدب الرجل ودوافعه
ومعانيه ؛ ولعله يبلغ بي الوسيلة إلى الذين لا يفهمون أدب الرافى ثم يحاولون
أن يتحدثوا عن أدب الطبع وأدب الذهن ، أو الأدب الفنى والأدب النفسى ...
ولكن على قبل أن أبدأ هذا الحديث ، أن أصف الرافى حين يهم بموضوعه ،
ثم حين يفكر فيه ، ثم حين يتهيا لكتابته ، ثم حين يمليه على من القصاصات
المبعثرة على مكتبه ، فإن ذلك من الموضوع فاتحته وأوله :

